## اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم عند الغلاة بمحو الذنوب وعلم ما في اللوح المحفوظ والقلوب

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ثم أما بعد؛ فقد خص الغلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بخصائص هي من جنس خصائص رب العزة والجلال من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يتبعون كل شـــيطان مريد يوحي بعضـــهم إلى بعض زخرف القول غرورا بالتلبيس والتدليس، وإلقاء الوساوس، والشبه، ليخرجوا بها من قل نصيبه من العلوم وقامت حقائق الإيمان في قلبه مقام الرسوم، من النور إلى الظلمات قال تعالى: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ}**.

وقال: **{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَـــنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ}**.

يظنون ظنا كاذبا خاطئا أن بإعطاء النبي صلى الله عليه وسلم تلك الخصائص يكون تعظيمه وتوقيره وتبجيله، وجهلوا أو تجاهلوا حقيقة" لا إله إلا الله" التي قامت عليها دعوته وجاهده صلى الله عليه وسلم.

ففتحوا لأنفســـهم بابا إلى الجحيم بدعوى المحبة والتعظيم، ويتجلى ذلك الغلو في كتب المولد والمدائح النبوية، وقد أجرى الله سبحانه وتعالى الحق على لسان أحد علمائهم فحذر من مثل تلك الكتب لما فيها من غلو ومبالغات في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله الصديق الغماري:" فما يوجد في كتب المولد النبوي وقصـــة المعراج من مبالغات وغلو ل أســـاس له من الواقع يجب أن يحرق لئلا يحرق أصحابها وقارؤها في نار جهنم نسأل الله السلام والعافية"[1].

والنماذج الشعرية التالية توضح ما جعله الغلاة للرسول صلى الله عليه وسلم من خصائص هي من جنس خصائص الربوبية والإلهية:

يقول البرعي:

---

[1] ملحق عن قصيدة البردة لبعد الله بن الصديق الغماري (77)، بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول صلى الله عليه وسلم.

يا صاحب القبر المنير بيثرب  أنا من ذنوبي في أشد وثاقي

ناداك من برع أسير ذنوبه  أفلا تمن عليه بالإطلاق

أثقلت ظهري بالكبائر سالكا  سبل المهالك صحبة الفساق

ونقضت عهدا قد تقادم عهده  يا وافيا بالعهد والميثاق

فاعطف على عبد الرحيم برحمة  وافسح له عن ضيق كل خناق[2]

قال النبهاني: قال أبو المواهب البكري مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم:

أقلني عثرة عظمت فإني ضاق بي المذهب

وخلصني وخصص نيبسر منه لا أسلب

أغث يا سيدي له فيوإلا من له أذهب

وقل لي أنت في جاه يفلا تخش ولا تتعب

بك استنصرت فانصرني فمن تنصره لا يغلب[3]

ويقول البوصيري

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[4]

ويقول النبهاني:

سيدي أبا البتول أغثني أنت أدرى بما حواه الضمير[5]

**خص الغلاة النبي صلى الله عليه وسلم بمحو الذنوب وغفرانها:**

وهذا لا يكون إلا لله جل وعلا حيث أخبر سبحانه وتعالى أنه غافر الذنب وقابل التوب قال تعالى: **{غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ  لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}**، وأخبر سبحانه

---

[2] ديوان البرعي (78-79) مع الشرح.

[3] شواهد الحق للنبهاني

[4] البوصيري: بردة المديح (35).

[5] شواهد الحق (363).

وتعالى أنه خبير بصـــير بذنوب عباده قال تعالى: **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِـــيرًا}**، وأخبرنا جلت عظمته وتقدســـت أسماؤه بأنه يغفر الذنوب جميعا، قال تعالى: **{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** [الزمر: 53].

بل إن الله تعالى أمر نبيه محمدا صـلى الله عليه وسـلم أن يسـتغر من ذنبه، قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}** [محمد: 19]، وقال تعالى: **{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}** [غافر: 55]، وقد غفر تعالى لنبينا صـــلى الله عليه وســـلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال تعالى: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}** [الفتح: 2].

وأخبر ســبحانه وتعالى أنه لا أحد يغفر الذنوب ســواه قال تعالى: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَـــةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـــهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْـــتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِـــرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [آل عمران: 135]، يقول ابن كثير رحمه الله:" أي لا يغفرها أحد سواه"[6].

وروى الإمام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"عرف الحق لأهله"**[7]، أبعد كل هذا التعريف والبيان من الله تعالى ورسوله صـلى الله عليه وسـلم يعدل إلى الاسـتدلال بالأشـعار والحكايات واسـتحسـانات الرجال لبيان أن أحدا من الخلق يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى والقول بوجود وسائط بين الخالق والمخلوق، لتحصل المنفعة للمخلوق بما لم يشرع أو يباح لهم فيه.

فمن حكاياتهم في ذلك ما رواه النبهاني عن سـيده مصـطفى البكري قال:" يحكى أن سـيدي محمدا الحنفي قدس الله سـره، فرش سـجادته على البحر، وقال لمريده قل يا حنفي وامش، فمشـى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي؟ هلا قلت يا الله؟

فلما قالها غرق، فأمسـك الشـيخ بيده، وقال له: أنت الحنفي تعرفه؟ فكيف بالله فغذا عرفت الله فقل يا الله؟ قال البكري يشـــير إلى أن الوســـائط لابد منهم"، ومن تلك الحكايات ما حكام محمد صـــادق

---

[6] تفسير القرآن العظيم (416/1).

[7] المسند (435/3).

القادري في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني قال:" جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضـــرته الدعاء ليعطيها الله ولدا، فراقب اللوح المحفوظ فلم ير لها ولدا مكتوبا فيه، فســـأل الله أن يعطيها ولدين، فجاءه النداء من الله: ليس لها ولد مكتوب في اللوح المحفوظ وأنت تطلب لها ولدين؟

فسأل الله أن يعطيها ثلاثة أولاد، فجاءه النداء مثل الأول، فسأل أن يعطيها أربعة أولاد، فجاءه النداء أيضا مثله، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد، فجاء النداء كالسابق، فسأل أن يعطيها ستة أولاد، فجاءه النداء كالســابق، فســأل أن يعطيها ســبعة أولاد، فجاءه النداء يكفي يا غوث لا تطلب الزيادة، فبهذه الإشارة جاءت البشارة بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور، فأعطاه الغوث مقدارا من التراب، وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق والاعتقاد في حضرة الغوث، فوضعت ذلك التراب في فضة وعلقتها كالتعويذة، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور، وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث، وقالت: التراب الذي أعطانيه الغوث أي فائدة تحصل منه؟

فمجرد تفوهها بهذا الكلام مات أولادها، فجاءت إلى الغوث باكية وتضـــرعت فقالت: يا غوث أغثني؟ فقال الغوث: كان ذلك الزمان زمانه، ففي هذا الزمان ليست فيه فائدة؟ في رواية قال لها الغوث: ارجعي إلى بيتك فبأي نية جئت بها تجديهم، فراحت إلى بيتها فوجدتهم أحياء"[8].

فإذا كان هذا حال أحد الأولياء عند الغلاة من قراءة اللوح المحفوظ والإلحاح على الله تعالى أن يثبت فيه ما لم يكن مثبتا بعد أن جفت الأقلام ورفعت الصحف قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف ســـنة، ثم يحصـــل لهذا الولي ما اراد ثم يميتهم بمجرد تغيير معتقد تلك المرأة فيه ثم يحيون بمجرد أن يرجع اعتقادها في قدرة ذلك الشيخ على إدارة ما لم يرده الله جل وعلا فإذا كان هذا هو حال الأولياء مع الله تعالى عند القوم فكيف بحال الأنبياء؟ وكيف بحال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

يقول مصطفى البكري: "**إن الذين يفعلون ذلك إنما يتخذون الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره واســـطة لمقامهم الرفيع عند ربهم**"[9]، وقبل مناقشـــة القوم فيما ذهبوا إليه من القول بتلك الوســـائط الشركية، أذكر شيئا عن الوسائط المشروعة:

---

[8] تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني (42-43).

[9] لمع برق المقامات العوالي في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال لمصطفى البكري الخلوتي (442)، ضمن شواهد الحق للنبهاني، انظر الدرر السنية لزين دحلان (17).

1-الرسل واسطة تبليغ: قال تعالى: **{يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** [الأعراف: 35، 36]، وقال تعالى: **{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ}** [الملك: 8، 9]، وقال تعالى: **{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [الأنعام: 48].

يقول شيخ الإسلام:" وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله تعالى وعباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره، قال تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}** [الحج: 75]، ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل"[10].

2- ومن ذلك ما يحدث بين الخلق من الشفاعات المحمودة، قال تعالى: **{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا}** [النساء: 85]، قال مجاهد:" نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض"[11]، وثبت في الصحيح:" اشفعوا تؤجروا"[12]، الحديث، أي من يسعى في أمر يترتب عليه مصلحة من مصالح العباد يكون له نصيب من الخير في ذلك، كما يحدث بين الرعية والملك والرئيس والمرؤوس، ونحوه.

وتلك الوسائط التي تكون بين الملوك والناس على أحد ثلاثة أوجه قاله شيخ الإسلام.

**الوجه الأول:** إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه-أي الملوك- ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في لأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح المحلين، فهل عرف النبهاني تلك الصفات التي لله جل وعلا وهو الذي يقول: سيدي أبا البتول أغثني أنت أدرى بما حواه الضمير

---

[10] الواسطة بين الحق والخلق (19).

[11] تفسير القرآن العظيم (544/1).

[12] البخاري: كتاب: الزكاة، باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (299/3) مع الفتح.

**الوجه الثاني**: أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلا بد من أنصار وأعوان لذله وعجزه، والله سبحانه وتعالى ليس له ظهير[13]، ولا ولي من الذل قال تعالى: **{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}**، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه وما سواه فقير إليه.

**الوجه الثالث**: أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك من الخارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إدارة الملك وخمته في قضاء حوائج رعيته إما لما يحصل في قلبه من كلامه الناصح الواعظ المشير وإما لما يحصل من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[14].

وسبب اتخاذهم الواسطة الشركية هو تشبههم الخالق جل وعلا بالمخلوق.

يقول مصطفى البكري:" إن العبد غذا سمع أو رأى عبدا صالحا وشاهد أو أخبر عن كرامات أكرمه الله تعالى بها وأحوال وعلوم وهبها له تحقق له أنه أقرب منه لدى الحق جل وعلا كما يتحقق أحدنا بقرب الوزير من قلب السلطان أكثر منها، فإذا أراد قضاء حاجته من السلطان اتخذ له واسطة يوصله إلى السلطان"[15].

يقول شيخ الإسلام:" وهذا كما يظنه جهال العباد من أن لهم على الله سبحانه وتعالى حقا بعبادتهم وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعمله يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق، كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة، ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك، ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا؟

يمن عليه بما يفعله معه، وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه وتخيل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه، ولهذا بين سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله عني عن الخلق كما في قوله تعالى: **{إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ}**، وقوله تعالى: **{مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}**.

---

[13] معاون.

[14] الواسطة بين الحق والخلق (باختصار وتصرف يسير) (26-27).

[15] لمع برق المقامات العوالي للبكري (446)، بذيل شواهد الحق للنبهاني.

وقوله تعالى: **{وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**[16].

ومما يجب أن يعلم أن في كلام هؤلاء المتصوفة إجمال وتدليس وتلبيس على العوام يجب أن يحذر، يقول محمد بن علوي المالكي :"فواسطة ليست شكرا وليس كل من اتخذ بينه وبين الله واسطة يعتبر مشركا وإلا لكان البشر كلهم مشركين لأن أمورهم جميعا تبنى على الواسطة، فالنبي صلى الله عليه سلم تلقى القرآن بواسطة جبريل، فجبريل واسطة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى للصحابة رضي الله تعالى عنهم فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد...إلخ"[17].

نفى المالكي أن يكون من الوسائط ما هو شرك، ولم يفهم من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن الصحابة يفزعون إليه عند الشدائد، وغفل عن أهم ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأجله من تعريف الخلق بحقوق الخالق وحقائق التوحيد والإيمان، بل إن ما ذكره لا يدل على مراده لأن ما ذكره من فزع الصحابة رضوان الله عليهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من التوسل المشروع الذي هو في حال حياته وفيما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم، وهذا بخلاف الواسطة الشركية التي يفهمها الغلاة والتي نفاها الدكتور المالكي والذي يصرح بها البكري بقوله:" فمن قال مثلا: يا سيدي عبد القادر، فمراده كن شفيعي عند الله في قبول ما سألته من ربي فإني أعتقد أنك أقرب مني إليه والأقربون أولى بالمعروف، أو فتشفع لي عند سيد المرسلين وهو عند رب العالمين في قبولي وإجابتي ما دعوته أو في قضاءه حاجتي، وهذا مما لا بأس به"[18].

ومن هنا دخلت الآفة على هؤلاء الغلاة وهو اعتقادهم أن للأموات سعيا في مصالح الأحياء وقد قال سيد المرسلين:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[19]، أبعد هذا البيان يظن أن الأولياء وهم أموات يسعون في مصالح الأحياء؟

وهؤلاء الغلاة إذا قلت لهم ما الفرق بين سؤالكم الأولياء حتى يقربوكم إلى الله زلفى وبين قول المشركين لأصنامهم: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ}** فالأولياء انقطع عملهم بعد موتهم إلا من ثلاثة، والأصنام جمادات لا تنفع ولا تضر؟ ما كان جوابهم إلا الصياح والعويل إذا دمغتهم الحجة والدليل وقالوا

---

[16] قاعدة جليلة (103)، مكتبة لينة.

[17] مفاهيم يجب أن تصحح للدكتور محمد علوي المالكي (26).

[18] لمع برق المقامات (446).

[19] مسلم، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (85/11)، مع النووي.

لأتباعهم ومريديهم الذين يخافون أن ينفضـــوا من حولهم هؤلاء يحتجون علينا بالآيات التي نزلت في المشركين، يلبسون على مريدهم حتى أني ناقشت أحد المريدين في بعض مسائل لتوحيد فلما قطعه الله وبهت وخشي أن يترك ما عليه الآباء وتذكر المواثيق الغليظة التي أخذت عليه عند أخذ الطريق من الشيخ قال لي:" نحن مع الشيخ إن دخل الجنة دخلنا معه وإن دخل النار دخلنا معه".

فهل ينظر هذا التابع إلا أن يأتي يوم يتبرأ فيه المتبوع منه إلا بحق قال تعالى: **{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** وأنى لهم ذلك.

والمقصـــود هنا أن هؤلاء الغلاة يعرفون الحق ولكن يحرفونه، يعرفون أن الآيات التي نزلت تحذر من الشرك لم تنسخ ولم تكن خاصة بكفار قريش، فمن جعل لله شركيا تارة يدعوه وتارة يدعو الله فقد أشرك ولا ريب.

يقول شاعرهم:

طورا أنادي رب رب  وتارة يا خير شافع

فهل فهم هذا الشاعر مدلول لا إله لا الله؟ بل إني أجزم أن أكثرهم لا يعرف معناها حيث تجد الواحد منهم يعد على مسبحته "لا إله إلا الله" آلاف المرات، فإذا سقطت المسبحة من يده قال: يا سيدي فلان تعلق بشيخه.

فالمشـــركون الأوائل كانوا على جانب من الفهم مكنهم من معرفة مدلول" لا إله إلا الله" فلما قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم:" قولوا كلمة تدين لكم بها العرب والعجم"، أبى المشركون، لأنهم فهموا من مدلول لا إله إلا الله ترك التعلق بآلهتهم التي كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، ومن ثم إفراد الله جل وعلا بجميع أنواع العبادات، في حالتي الشدة والرخاء.

وحسبنا من القوم إنصافا ما أجراه الله على لسان ابن حجر الهيتمي الذي يقول:" وهنا أمران لا بد منهما، أحدهما: وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته على سائر الخلق.

والثاني: إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارئ سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك، ومن قصر بالرسول صلى الله عليه

وسلم عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالبارئ سبحانه وتعالى فقد أصابح الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط"[20].

فكون الهيتمي يفرق بين خصائص الرب جل وعلا وبين خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحكم على من اعتقد في مخلوق مشاركة البارئ سبحانه وتعالى في شيء من خصائصه سبحانه فقد اشرك، فهذا قد يقنع القوم بإمكان وقوع الشرك في هذه الأمة بعد إسلامها، وبالتالي لا يقال أنتهم تفهمون من النصوص ما لم يفهمه أئمتنا، وعلى الرغم مما حوته عبارة الهيتمي من جوانب مضيئة إلا أنها لا تخلو من ملاحظات.

**الملاحظة الأولى**: عندما ذكر الأمرين اللذين لابد منهما جعل الأول فيما يتعلق بحق النبي صلى الله عليه وسلم والثاني فيما يتعلق بحق الرب تعالى، وكان الأولى أن يقدم الكلام فيما يتعلق بحق الرب جل وعلا.

**الثانية**: قوله :"إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه" فلا يعتقد وجود خالق أو رازق مع الله تعالى، وعلى فرض التسليم للقوم أن المطلوب من المكلفين إفراد الله بربوبية دون التنبيه من علمائهم على توحيد الألوهية، فإن من عارفي القوم من ادعى انفراده بالملك الدنيا والآخرة وربوبية العباد.

يقول عبد الكريم الجيلي:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما  سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

ولا قبل من قبلي فألحق شأنه  ولا بعد من بعدي فأسبق معناه

وقد حزت أنواع الكمال وأنني  جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

إلى قوله:

وإني رب للأنام وسيد  جميع الورى اسم وذاتي مسماه[21]

---

[20] الهيتمي: الجوهر المنظم (13).

[21] الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلي (1/31-32).

مع العلم أن هذا النوع من التوحيد الذي خصـــه الهيتمي بالذكر، عني توحيد الربوبية كان المشـــركون الأوائل يقرون به، قال تعالى: **{وَلَئِن سَـأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}** الآية، وقال تعالى: **{وَلَئِن سَـــأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّـــمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}**، وقال تعالى: **{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}**.

ومع ذلك فقد سماهم الله تعالى مشركين وأمر بقتالهم، قال تعالى: **{فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْـــرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُـــرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَـــدٍ}** وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا}**.

إذا لابد مع إفراد الله تعالى بالربوبية إفراده بالألوهية فلا يشرك فيها مع الله أحد بمعنى لا تجعل الصلاة والزكاة لله تعالى ويدعى ويســـتغاث بغيره تعالى ليمحو الذنوب ويفرج الكروب، فلا حجة إذا للغلاة من عدم تنزيل الآيات التي وردت في شأن المشركين على من صرف حقا من حقوق الله تعالى للمخلوقين، فللإسلام نواقض كما للوضوء والصلاة نواقض، فمن دخل في الإسلام ثم حدث منه ناقض من نواقضه انتقض دون شك، فمن نواقض الإسلام:

1-الشرك في عبادة الله، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}**، وقال تعالى: **{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}**.

2-جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعا[22]، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن من أمته من سيعبد الأوثان وأن قبائل منهم ستلحق بالمشركين، أخرج ابن ماجه من حديث ثوبان مولى رســول الله صــلى الله عليه وســلم الطويل وفيه:" وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضــلين، وســتعبد قبائل من أمتي الأوثان، وســتلحق قبائل من أمتي بالمشــركين، وإن بين يدي الســاعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي، ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصـــورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل"[23].

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن من أمته من يتبع سنن اليهود والنصارى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ذراعا بذراع حتى لو

---

[22] نواقض الإسلام للشيخ ابن باز.

[23] أخرجه ابن ماجه في سننه (1304/2)، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه للألباني (353/2) (3192).

دخلوا حجر ضب لدخلتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[24]، قوله:" فمن" استفهام استنكاري والتقدير: فمن هم غير أولئك[25].

ومن اليهود من عبد العجل ومن النصارى من عبد المسيح عيسى ابن مريم، وأما هؤلاء فمنهم من عبد الكلب والخنزير-نسأل الله السلامة والعافية، قال شاعرهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة[26]

**{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}.**

---

[24] البخاري، كتاب: الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم (300/13)، مع الفتح، مسلم: كتاب العلم (219/16)، مع النووي.

[25] فتح الباري (301/13).

[26] النفحات الأقدسية لمحمد بهاء الدين البيطار (338/1)، نقلا عن خطاب مفتوح إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل (44).